تقديم

الحمد لله العلي القدوس، رب الملائكة والروح، الذي بذكره تطيب النفوس، وتتطهر الأبدان من الرجس والدنوس، مدح المتطهرين، وأثنى على عباده التوابين، فقال في محكم كتابه الحكيم:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولا ند له، ولا نظير له، ولا مثيل له، شهد لذاته بالوحدانية قبل أن تشهد له مخلوقاته، فقال تعالى في محكم كتابه:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} [آل عمران: ١٨].

وقال تعالى:{إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾} [طه: ١٤].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خيرة خلقه وحبيبه، حمل منهج السماء بأمانة بواسطة الأمين جبريل، تنزيل من رب العالمين، ذلك القبس السماوي المنير الذي يشع الخطوط المستقيمة للسلوك الفردي، ذلك القبس السماوي المنير رمزًا لكل ما هو حق ولكل ما هو عدل ولكل ما هو واجب.

أما بعد:

يعتبر كتاب فقه الطهارة من القرآن والسنة من أجود الكتب التي صنفت في أحاديث الأحكام، حيث انتقيت أحاديثه مما اتفق عليه الإمامان " البخاري " و " مسلم " في صحيحيهما، إلا في القليل منها مما انفرد به أحدهما، وقد قمت بجمع مادة كتاب " فقه الطهارة من القرآن والسنة " بطريقة تجعل القارئ المتمسك بسنة النبي محمد ﷺ يفهم أحكام الله تعالى، التي تساعده في دينه ودنياه وقد سلكت في شرح أحاديثه، طريقة الشارح

في استنباط الأحكام، وبيان المذاهب، ليكون أسلوبًا واحدًا، وقد وفقني الله تعالى لذلك، فمنه الفضل وإليه، والله أسأل أن ينفع به المؤمنين، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه، وذخرًا عنده، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رضـــا الحفنـــاوي

تم الانتهاء منه يوم الاثنين

٢٠١٠/٤/٥م الموافق ٢٠ من ربيع الثاني ١٤٣١هـــ

ج.م.ع مدينة المنصورة – محافظة الدقهلية

٠١٦/٩٩٥٤٠٢٤

* * *

obeikandl.com

تذكرة هامة لطالب العلم

اعلم أيها الأخ - الكريم - أن من أهم الأمور التي تؤدي إلى تدهور الدين هو التعصب لمذهب من المذاهب، مع العلم بأن الله تعالى ورسوله لم يأمرا باتباع مذهب معين وإنما أمر الله تعالى باتباع نبيه ﷺ قال تعالى:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾} [النساء: ٨٠] فما عليك أخي إلا أن تأخذ بالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وإياك ثم إياك أن تأخذ بسنة لم تثبت عن النبي ﷺ وإن احتج بها إمام من الأئمة وتتعصب له وذلك لأن التعصب لمذهب من المذاهب قد يؤدي إلى الكذب على النبي ﷺ، فقد جاء رجل حنفي إلى رجل وقال له: ألا تنظر إلى الشافعي وقد انتشر مذهبه عن مذهب أبي حنيفة، فقال له: اصبر ثم جاء بحديث يكذب فيه على رسول الله ﷺ من أجل نشر المذهب الحنفي فقال هذا الكذاب: قال رسول الله ﷺ أبي حنيفة سراج أمتي وسيأتي في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس وهو أشر على أمتي من إبليس، فهذا الرجل تبوأ له مقعداً من النار - إن لم يتب - من أجل نشر مذهب معين، مع العلم بأن هدف الأئمة هو وصول سنة النبي ﷺ الصحيحة إلى أمته بغض النظر عن أن تصل من إمام معين، وانظر - رحمك الله تعالى - إلى أقوال الأئمة الأربعة في ذلك.

قال الإمام أبي حنيفة رحمه الله: عليكم بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

وقال الإمام مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الأمانة؛ لأن الله تعالى يقول:{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذٍ دينا لا يكون اليوم دينا.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: بعد تأليفه كتبه: لا بد وأن يوجد في كتبي الخطأ لقوله تعالى:{وَلَوْكَانَ مِنْعِندِغَيْرِاللَّهِلَوَجَدُوافِيهِاخْتِلَافًاكَثِيرًا } [النساء: ٨٢]، فما وجدت فيها مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة.

فالأئمة كلهم كانوا يتمسكون بكتاب الله تعالى والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي محمد ﷺ، ولذلك قالوا:

وقول أعلم الهدى لا يعمل ::: بقولنا بدون نص يقبل
فيه دليل الأخذ بالحديث ::: وذاك في القديم والحديث
قال أبي حنيفة الإمام ::: لا ينبغي لمن له إسلام
أخذاً بأقوالي حتى تعرض ::: على الكتاب والحديث المرتضي
ومالك إمام دار الهجرة ::: قال وقد أشار نحو الحجرتي
كل كلامي منه ذو قبول ::: ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن رائيتموا ::: قولي مخالفا لمن راو يتموا
من الحديث فاضربوا الجدار ::: بقولي المخالف الأخبار
وأحمد قال لهم لا تكتبوا ::: ما قلته بل أصل ذلك فاطلبوا
فانظر ما قالت الهداة الأربعة ::: واعمل بها فإن فيها منفعة
لقمعها لكل ذي تعصب ::: والمنصفون يكتفون بالنبي

وكان الأئمة - رحمهم الله تعالى - يوقر بعضهم بعضاً، ولذلك كان الإمام أحمد يدعو للشافعي، فقد ظل يدعو له أربعين سنة في سجوده، فقال له ابنه: يا أبت من الشافعي هذا الذي تدعو له فقال له يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للناس، فهل عنهما من عوض؟! وهل عرفنا ناسخ الحديث ومنسوخه إلا من الشافعي؟ فكان أحمد - رحمه الله تعالى -

مفطوراً على حب الشافعي.

وكان الشافعي - رحمه الله تعالى - يوقر الإمام مالك، فقد قال عنه: لولا مالك وسفيان لذهب العلم بالحجاز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا كان الرجل متبعاً لبعض الأئمة، فرأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه. كان قد أحسن، ولم يقدح ذلك في عدالته بلا نزاع، بل هذا أولي بالحق، وأحب إلى الله تعالى ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ، كمن يرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه، دون قول الإمام الذي خالفه.

فمن فعل هذا كان جاهلاً ضالاً، بل قد يكون كافراً، فإنه متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون قول الإمام الآخر فإنه يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

بل غاية ما يقال: إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحداً لا بعينه من غير تعين زيد ولا عمرو.

وأما أن يقول قائل: إنه يجب من الأمة تقليد فلان أو فلان. فهذا لا يقوله مسلم، ومن كان موالياً للأئمة محباً لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة. فهو محسن في ذلك، بل هو أحسن حالاً من غيره.

فالأئمة اجتماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة[1]، فمن تعصب لواحد بعينه: كان بمنزلة الرافضة الذين يتعصبون لواحد من الصحابة دون غيره، وكالخوارج، وهذه طريقة أهل البدع والأهواء الذين هم خارجين عن الشريعة بإجماع الأئمة والكتاب والسنة.

(١) قلت: إذا كان اختلاف تنوع، أما اختلاف التضاد فهو شر.

ثم عامة المتعصبين لواحد: إما مالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة أو غيره: غايته: أن يكون جاهلاً بقدره في العلم والدين، وبقدر الآخرين، فيكون جاهلاً ظالماً، والله تعالى يأمر بالعلم والعدل، وينهى عن الجهل والظلم.

فالواجب مولاة المؤمنين والعلماء، وقصد الحق واتباعه، وليعلم أن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.

وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله تعالى عليهم الترك كثرة التفرقة والفتن بينهم في المذاهب، وكل ذلك من الاختلاف الذي ذمه الله تعالى، فإن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والواجب على الخلق اتباع المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى، قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥].

فعلي أقواله وأحواله وأفعاله توزن جميع الأحوال والأقوال والأفعال، والله يوفقنا وإخواننا وسائر المؤمنين لما يحبه ويرضاه " [١].

* * *

شروط الدعوة إلى الله تعالى [٢]

إذا أردت أيها الأخ العزيز أن تكون داعيا إلى الله تعالى فاعلم أن هناك شروطا ذكرها العلماء، ومنها:

١) العلم بما جاء به الرسول ﷺ.
٢) العمل بما جاء به الرسول ﷺ.
٣) الدعوة بما جاء به الرسول ﷺ.
٤) الصبر بما جاء به الرسول ﷺ.

* * *

(١) مختصر فتاوى ابن تيمية رحمه الله تعالى من كتاب الصلاة (ص ٤٢، ٤٣).
(٢) من كتاب ففروا إلى الله للعلامة أبي ذر القلموني.

شروط السير في طريق الله تعالى

إذا أردت أيها الأخ العزيز أن تسير في طريق الله تعالى فاعلم أن هناك شروطاً ذكرها العلماء، ومنها:

١) أن تعرف الطريق إلى الله تعالى.

٢) أن تسلك هذا الطريق بعد معرفته.

٣) أن تقصد بهذا العلم والسلوك الوصول إلى الله تعالى.

٤) دوام الخوف، وعدم الأمن على الإيمان.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى - في طريق الهجرتين -: لسلوك الطريق إلى الله تعالى لا بد من وجود قوتين:

أ- **قوة علمية**: بمعنى أن يعرف السالك الطريق معرفة جيدة.

ب- **قوة عملية**: بمعنى أن يكون عند السالك القوة الذاتية القلبية على السير في هذا الطريق.

والسير إلى الله تعالى يكون بثلاثة أمور:

١) **النفس**: وهى أكبر عائق في طريق السير إلى الله تعالى، فالنفس جبل شاق وعر في طريق الوصول إلى الله تعالى، ولذلك كان رسول الله ﷺ في كل خطبة يقول:«... **ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**»، وعندما جاء عمران بن حصين رضي الله عنه - وكان حديث عهد بالإسلام - إلى رسول الله ﷺ قال له: يا رسول الله علمني دعاء فقال له عليه الصلاة والسلام:«**قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**».

٢) **القلب**: والسير إلى الله تعالى بالقلب أقوى من السير إلى الله تعالى بالجوارح، يقول الذي ضرب أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: ضربت

أحمد سبعة عشر سوطاً لو ضَربتُ بها جبل لا نهدَّ، فلما ضربته السوط الأول قال: بسم الله، ولما ضربته السوط الثاني قال: الله أكبر، ولما ضربته السوط الثالث قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ولما ضربته السوط الرابع قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولذلك قال العلماء رحمهم الله تعالى: كان أحمد يلبس جسده على قلبه كما يُلبس الثوب على الجسد فكانوا يضربون جسده دون قلبه فلا يصل الضرب إلى قلبه.

٣) **الروح**: وهى الأمر الثالث في السير إلى الله تعالى.

واعلم أيها الأخ العزيز: " أن الطريق إلى الله تعالى واحد لا تعدد فيه، فهو الصراط المستقيم والحق المبين، والحق واحد ومرجعه واحد، وأما الباطل والضلال فلا ينحصر، وكل طريق إلى الباطل باطل، وأما الحق فهو واحد بلا شك " (١).

فيأخي العزيز سر في طريق الله تعالى، ولا تعرض عنه، وصدق الشاعر حيث يقول:

أيها المعرض عنا ::: إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا ::: كل ما فيك يردنا

منازل العبودية: منازل العبودية هى حدود ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ، وقد وصف الله تعالى من لم يعرفها بالجهل والنفاق حيث قال تعالى:{ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾} [التوبة: ٩٧] ومنازل العبودية تكون بشيئين:

الأول: معرفة حدودها دراية.

الثاني: القيام بها رعاية.

(١) مدارج السالكين للعلامة ابن القيم.

ومنازل العبودية هى:

١) **اليقظة**: وهى انزعاج القلب لروعة الانتباه من ركضة الغافلين، فمن أحس بالفزع أحس بالحياة، وقد تقع اليقظة من مجرد فكر - كما في قصة أصحاب الكهف - أو حادثة - كأن يحدث لشخص ما حادثة تجعله يعود إلى الله تعالى - أو سبب ظاهر - كالموت، فقد يتيقظ الإنسان بمجرد رؤية أحد الأموات -.

٢) **الفكرة**: أي يبدأ الإنسان يفكر كيف يسير في طريق الله تعالى بعد أن تيقظ من معاصيه.

٣) **البصيرة**: بمعنى أنه يبدأ يرى أن الطريق إلى الله تعالى هو الطريق الصحيح.

٤) **العزم**: أي يبدأ يعزم على السير في هذا الطريق.

٥) **المحاسبة**: بمعنى أنه يبدأ يحاسب نفسه على التقصير في حق الله تعالى.

٦) **التوبة**: بمعنى أنه يبدأ يتوب من جميع المعاصي.

٧) **الإنابة**: أي يبدأ يرجع إلى الله تعالى في كل أحواله.

وبالتالى فمن عرف حدود العبودية دراية، وقام بها رعاية يستكمل العبد الإيمان، ويكون من أهل إياك نعبد، وإياك نستعين.

أخي طالب العلـــم: كانت هذه مقدمة بسيطة لا بد من معرفتها لكي تعرف علم الحلال والحرام ألا وهو علم الفقه الذي يعتبر من أعظم العلوم بعد توحيد الله تعالى، فبعد معرفة الله تعالى لا بد وأن تعرف كيف تعبد الله تعالى، ولكي تعرف كيفية العبادة لا بد لك من معرفة علم الفقه.

سؤال هام: متى يعمل بالحديث الضعيف؟

اختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف، والذي عليه الجمهور على أنه يستحب العمل به في فضائل الأعمال، بشروط ثلاثة أوضحها الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى، وهى:

١) أن يكون الضعف غير شديد.

٢) أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

٣) ألا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط.

أخي طالب العلم: قبل أن نبدأ في شرح الطهارة يجب أولاً أن نتعرف على بعض المفاهيم التي تساعد على فهم استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية.

* * *

تعريف الفقه لغة وشرعًا

الفقه لغة: هو الفهم، وقال بعض العلماء: هو الفهم الدقيق، ومنه قوله تعالى:{وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨} [طه: ٢٧ - ٢٨].

الفقه شـــرعا: هو العلم [١] بالأحكام[٢] الشرعية العملية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

* * *

(١) العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه - أي على حقيقته - وهو عكس الجهل.

(٢) الأحكام: جمع حكم وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأحكام المكلفين، وينقسم إلى قسمين:

الأول: الحكم التكليفي وهو خمسة أقسام:

١ - الواجب: وهو ما أمر الله تعالى بفعله على وجه الإلزام والتحتم ويثاب فاعله ويعاقب تاركه ويكفر منكره.

٢ - الحرام: وهو ما أمر الله تعالى بتركه على وجه الإلزام والتحتم ويثاب تاركه ويعاقب فاعله ويكفر مستحله.

٣ - المكروه: وهو ما أمر الله تعالى بتركه على وجه لا يقتضي التحتم والإلزام، وهو الذي يتردد بين الحلال والحرام، ويثاب تاركه ولا يعاقب فاعله.

٤ - المباح: وهو ما يثاب فاعله امتثالا، ولا يعاقب تاركه.

٥ - المندوب: وهو الذي ندب الشرع إلى فعله.

الثاني: الحكم الوضعي وهو الذي إذا وجد سببه وجد بغض النظر عن النية.

أقسام الفقه

ينقسم الفقه إلى قسمين:

الأول: فقه العبادات: وهذا النوع هو المتعلق بين العبد وربه سبحانه وتعالى، ومن هذه العبادات ما هى بدنية محضة كالصلاة والصوم، ومنها ما هى مالية محضة كالزكاة، ومنها ما هى مالية وبدنية كالحج.

الثاني: فقه المعاملات: وهذا النوع هو المتعلق بين العبد وغيره من العباد كالزواج، والطلاق، والبيع، والشراء، والخصومات، ونحو ذلك.

وقد اتفق جمهور العلماء على أن فقه العبادات مقدم على فقه المعاملات؛ وذلك لقوله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات: ٥٦] فلما كانت العبادات المحضة هى المقصودة من خلق الناس من صلاة وصيام وزكاة وحج كانت العناية بها أوجب، أما المعاملات فإنها لا تقع عبادة إلا بقصد القربة إلى الله تعالى؛ لأنها في الأصل معاملات دنيوية ولذلك قُدم المقصود الأصلي وهى العبادة على ما هو تابع وهو المعاملات.

* * *

أهم قواعد الفقه

١ - **الأمور بمقاصدها**: وهى مستمده من قوله تعالى:{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ} [البينة: ٥] ومن قوله ﷺ " **إنما الأعمال بالنيات** ".

٢ - **العادة مُحكَّمــة**: وهى مستمدة من قوله تعالى:{وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ} [البقرة: ٢٢٨].

٣ - **الضرر يُزال**: وهى مستمدة من قوله ﷺ :«**لا ضرر ولا ضرار**».

٤ - **اليقين لا يُزال بالشك**: وهى مستمده من قوله ﷺ :«**إذا شك أحدكم في صلاته فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا**».

٥ - **المشقة تجلب التيسير**: وهى مستمده من قوله تعالى:{وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ} [الحج: ٧٨].

* * *

openkandl.com